الفصل الرابع

وقف الوقت

الفصل الرابع

وقف الوقت

إن الناظر في علاقة الوقف بالشباب في الأخذ أو العطاء المتبادل يلحظ ثمة تطفيف واضح في الاستفادة من البعض، ولا شك أن ذلك راجع إلى أسباب عدة قد تكون خارجة عن إرادة الطرفين، ففي مجال استفادة الشباب من الوقف نجد أن قطاع الشباب كان من الفئة المستفيدة من الوقف بعموم الاستفادة وبخاصة إن كان من الفئة الفقيرة التي غالبا ما يتقصدها الواقفون.

كما يمكن النظر إلى استفادة الشباب من الوقف بشكل بارز من خلال المدارس الوقفية فمن المعلوم أن الغالبية العظمى من المستفيدين من هذه المدارس الوقفية هم من الشباب بمختلف مراحل الفترة الشبابية وتفاوتها عمريا ومما يؤكد هذه النظرة هو كثرة الأوقاف التي تمّ تحديد مصارفها للعلم وطلبة العلم، ومستلزمات التعليم وأدواته وهي الأظهر على مر التاريخ الإسلامي بعد المساجد، ولا يخفى أن هذا عائد إلى احتفاء الإسلام بالعلم وأهله، وإلى بعد النظر الذي كان يتمتع به أسلافنا في التعامل مع احتياجات الحياة، "فلا ريب أن للوقف أثرًا في تشجيع الطلاب على التفرغ لطلب العلم، وذلك لما يحصل من الإرفاق بالطالب في معيشته وسكنه، ولاسيما حين يكون مسؤولا عن إعالة نفسه، حين يدخل مرحلة البلوغ والشباب، حيث أتاحت الأوقاف للكثير من شباب المسلمين ومن تعدى مرحلة الشباب أن يتفرغ لطلب العلم دون أن ينشغل بلقمة العيش وهمومها، وذلك من خلال ما وجد في الكثير من المدارس الموقوفة من مساكن خاصة بطلب العلم"[١] والذي كان الغالبية العظمى منهم من الشباب كما هو معلوم.

---

(١) الأثر الثقافي للوقف في الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص٩٧.

وفي الآونة الأخيرة ظهر ما يسمى بأوقاف توجه مصارفها إلى مساعدة الشباب غير القادرين من الجنسين على الزواج، وقد كان لها أصل في تاريخنا الإسلامي السالف، فقد ورد أن حفصة بنت عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- ابتاعت حليًا بعشرين ألفًا فحبسته على نساء آل الخطاب[١]، كما وجد من الأموال الوقفية ما يحبس من أجل إعانة المتعففين الراغبين في الزواج ومن ذلك الحلي الموقوفة لإعارتها للعروس التي لا قدرة للعروسين على شرائها لتتزين بها حينما تُزف إلى زوجها[٢]، إضافة إلى شيوع مؤسسات وقفية لتجهيز البنات إلى أزواجهن ممن تضيق أيديهن أو أيدي أوليائهن عن نفقات تجهيزهن ولقد أشار إلى شيء من ذلك ابن بطوطة في رحلته الشهيرة[٣]، كما كان في تونس وقف خُصص ريعه لتزويج البنات الفقيرات واليتيمات[٤]. وهذا مشابه الآن لمؤسسات وجمعيات مساعدة الشباب على الزواج والتي تنتشر في أنحاء عديدة من عالمنا الإسلامي، ولكنها بشكل أكثر تنظيما وتعقيدا، ومن مظاهرها الأبرز المساعدات المادية المباشرة والمساعدات العينية من تأثيث للمنازل وخلافه، والدورات التدريبية للمقبلين على الزواج، أو لعلاج المشكلات الأسرية، وكذلك حفلات الزواج الجماعي، وهذا النوع من استفادة الشباب من الأوقاف يُعدُ الأظهر في وقتنا الحاضر حينما نذكر المنفعة المتبادلة بين الطرفين.

وفي المقابل وهو استفادة المؤسسات الوقفية من الشباب يلمس كل مهتم بالوقف أن هناك قصورًا واضحًا في تحقيق الاستفادة بالفعل من فئة الشباب، على الرغم من أن هناك

---

(١) آفاق التعاون المشترك بين مؤسسة الوقف والمنظمات الأهلية، ياسر بن عبدالكريم الحوراني، مجلة أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد ١، ١٤٢٢هـ، ص ١١٨.

(٢) نماذج وتطبيقات تاريخية: كيف أدى الوقف دوره خلال التاريخ، مرجع سابق، ص ٢٢٠.

(٣) رحلة ابن بطوطة، مرجع سابق، ج١، ص ١١٩.

(٤) الوقف في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٣٦.

من المجالات ربما لا ينفع الوقف فيها إلا الشباب؛ لما تمتاز به هذه المرحلة العمرية من خصائص اجتماعية ونفسية وبدنية تؤهلها لتأدية دور متميز بالفعل لخدمة المجال الوقفي بعمومه، وقد يكون السبب في ذلك التقصير متبادلًا بين محاور ثلاثة هي: الجهات الوقفية، وكذلك الشباب أنفسهم، وأخيرًا المجتمع بعمومه، وسنتحدث عن ذلك حين الحديث عن المعوقات التي تعترض الاستفادة من الشباب في مجال الوقف أو سبب إحجام الشباب عن الانخراط في سلك تحقيق المنافع في مجالات الوقف والأوقاف.

ولكن مما يحسن أخذه في الاعتبار حين الحديث عن كيفية الوصول إلى تحقيق استفادة المؤسسة الوقفية من الشباب الارتكاز على عدد من المنطلقات التي تعين على تحقيق هذه الفائدة، وتسهلها وهي سبعة منطلقات أساسية وهي:

١. القوة العددية للشباب في المجتمع.

٢. القوة النوعية للشباب: خصائص المرحلة العمرية.

٣. الاستفادة مما يمتلكونه بالفعل.

٤. خصوصية المجتمع المسلم.

٥. توسيع النظر إلى الأوقاف ليشمل وقف المنافع.

٦. التعرف على دوافع التطوع لدى الشباب.

٧. شمولية النظر إلى المصلحة المتحققة للوقف والشباب.

أما تفصيل هذه المنطلقات فسيكون بشكل مختصر على النحو الآتي لنتبين أن إمكانية الاستفادة من الشباب متيسرة في ظل التعامل معه وفق هذه المنطلقات، ومن ذلك:

١. القوة العددية للشباب في المجتمع:

إن مما تتصف به المجتمعات النامية عموما استعراض قاعدة الهرم السكاني حيث تكون

الفئات العمرية الصغيرة الأكثر عددًا بين السكان وتتناقص كلما ارتفعنا إلى قمة الهرم السكاني، ودول الخليج[١] لا تخرج عن هذه القاعدة السكانية المطردة، فحسب الإحصاءات الرسمية للدول الخليجية المرصودة في عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٣م)، وهو أحد إحصائية استطاع الباحث الحصول عليها لدول الخليج العربي مجتمعة، فإن جملة عدد السكان في دول الخليج تبلغ (٤٧.٣٧٩.٣٢٠)، مليون نسمة حسب الجدول الآتي:[٢]

الدولة	عدد السكان
الإمارات العربية المتحدة	٨.٢٦٤.٠٧٠
مملكة البحرين	١.١٩٥.٠٢٠
المملكة العربية السعودية	٢٩.١٩٥.٨٩٥
سلطنة عمان	٣.٦٢٣.٠٠١
دولة قطر	١.٨٣٢.٩٠٣
دولة الكويت	٣.٢٦٨.٤٣١
المجموع	**٤٧.٣٧٩.٣٢٠**

ونسبة الشباب التي تتراوح أعمارهم بين (٢٠-٢٩) سنة تتجاوز (١٥%)[٣] من جملة السكان مع تفاوت بين دول المجلس وقد تمّ تحديد عمر الشباب المقصود في هذه

(١) كان البحث يتحدث عن منطقة الخليج بشكل خاص باعتبار البحث مقدمًا في فعالية علمية على مستوى دول الخليج، لذا لزم التنويه بأن التركيز في الحديث سيكون عن دول الخليج أو المجتمع الخليجي.

(٢) موقع الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية:

http://www.gcc-sg.org/ar-sa.

(٣) موقع الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، مرجع سابق.

الدراسة بين (٢٠-٢٩) باعتبار ما تذكره معاجم اللغة[١] فيمكن القول إن هذه المرحلة العمرية (٢٠-٢٩) سنة يمكن اعتبارها أول مرحلة من مراحل الرجولة، كما يمكن تسميتها مرحلة الشباب، كما أن الشاب في هذا الفترة العمرية يكون قد انتهى من دراسته الثانوية، وانخرط في الحياة الجامعية، ومنهم من يكون في هذه المرحلة قد انتهى من الجامعة ولما يلتحق بالعمل بعد.

ومما سبق يتضح القوة العددية لهذه الفئة فهم يمثلون (١٥%) من أفراد المجتمع في كل دولة تقريبًا، مما يجعل إعادة النظر في كيفية الاستفادة منها مطلبًا شرعيًا، ووطنيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا. وبكل حال ليست القوة العددية هي المؤثر هنا فحسب، بل هناك القوة النوعية التي يمتازون بها وهي مدار الحديث في الفقرة الآتية.

٢. القوة النوعية للشباب: خصائص المرحلة العمرية:

حيث يمتاز الشباب في هذه المرحلة العمرية بالمثالية، والاستجابة لنداء الواجب والنخوة، والرغبة في التميز والإنجاز، والعمل المتفاني فيما يؤمنون به من قيم ومبادئ، دون ملل أو خوف أو تردد، وبخاصة عند التركيز على الجوانب الخيرية في نفوسهم. كما تتميز مرحلة الشباب بالطاقة والنشاط ويرافق ذلك حماس لما يريد الشاب تحقيقه ففي حين يتلكأ الكبار ويؤجلون ما يخططون لتنفيذه نجد الشباب يندفعون نحو تحقيقه ولا يعجزهم أو يثبط من عزمهم ما قد يكون مثبطا للكبار بغض النظر عما إذا كان ما يريدونه أمرًا مهمًا أو غير مهم. إن هذا الحماس يمكن أن يستثمر في أمور ايجابية مثل ما يمكن أن يستثمر في أمور غير إيجابية، فالدراسات تؤكد أن ما يحصل في كثير من البلدان من

---

(١) انظر في ذلك: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وزملائه، دار الدعوة، إستانبول، ١٩٨٩م، ص٤٧٠. وكذلك: التعريفات، الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٨هـ، ص ١٤٦.

ثورات ومظاهرات وعنف وما شابهها هي من فئة الشباب قد يكون وراءها من هم في مرحلة الكهولة أو الشيخوخة ولكن المنفذين والمندفعين هم الشباب[١].

وفي مرحلة الشباب يكتشف ما يمكن أن يعود عليهم من العمل الخيري والتطوعي بعمومه، وإنه يرفعهم إلى مصاف الرجال والأبطال والمنقذين في بعض الأحيان، وكيف أن هذه الأعمال يمكن أن توجه طاقاتهم الشبابية وإبداعهم ونوازع الخير الفطرية فيهم إلى أعمال يفخرون بها، حيث يعطون من جهودهم وأوقاتهم، ويشبعون في ذواتهم روح المغامرة والاكتشاف فضلا عن أن هذه المرحلة تُعدُ مرحلة تبني الأدوار الاجتماعية في الحياة، ومن ذلك ممارسة العمل الخيري التطوعي كأحد الأدوار الاجتماعية في حياة الشاب. وهو في الوقت نفسه يهيئ على تحمل الشاب لتحمل المسؤولية في مستقبل حياته.

إن استيعاب مثل هذا المنطلق يسهل علينا عملية تحقيق استفادة الوقف من الطاقات الشبابية في المجتمع، من خلال هذا المدخل الاجتماعي والنفسي في حياة الشباب، وهو منطلق أساس ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار عند الحديث عن كيفية استفادة المؤسسة الوقفية من الشباب، كما أنه مطلب ملح للتعرف عليه؛ حتى نتمكن من استجلاب أكبر عدد من هذه الفئة إلى المجال الوقفي.

٣. الاستفادة مما يمتلكونه بالفعل:

في مرحلة الشباب سنجد أن الشاب لم يصل بعد إلى مرحلة من الغنى المادي لكي يُفيد الوقف بماله. وكذلك لم يصل إلى مرحلة من الوجاهة المجتمعية، أو المكانة الاجتماعية التي تفيد الوقف والأوقاف، من خلال ما يمتلكه من مكانة في المجتمع، ولكن هناك ما يمتلكه الشباب وهو ما يفتقر إليه الآخرون وهو: الحماس للعمل والبذل، والاندفاع والحرص

---

(١) علم نفس المراحل العمرية، عمر بن عبدالرحمن المفدى، دار الزهراء، الرياض، ١٤٢١هـ، ص ٣٩٩.

على الإنجاز، إضافة إلى شيء مهم جدًا وهو توافر وقت الفراغ لديهم بكميات كبيرة جدا سواء في الأيام العادية أو في الإجازات الأسبوعية أو الإجازات الصيفية فتقدر بعض الدراسات أن ما يمتلكه الشباب (ذكورًا-إناثًا) من وقت فراغ في أيام الدراسة يصل متوسطه إلى (٣) ساعات يوميًا، ويرتفع هذا الرقم إلى ما متوسطه (٨) ساعات فراغ يومي في أيام الإجازات[١]، وهذا الشيء الذي يمتلكونه هو الذي يمكن أن يستفيد منه الوقف بالفعل من الشباب وهو رغبتهم في تحقيق ذواتهم من خلال الإنجاز، إضافة إلى وجود كمية كبيرة من وقت الفراغ لديهم.

٤. خصوصية المجتمع المسلم عامة والخليجي خاصة:

لكل مجتمع خصوصيته المتميزة، وتنبع تلك الخصوصية من روافد عدة، أهمها وأبرزها الدين الذي يعتنقه ذلك المجتمع، وغالبًا ما تتشكل بناء عليه العديد من العادات والتقاليد والأعراف التي تتكون على آماد طويلة لتصبح جزءًا لا يتجزأ من كيان المجتمع ونسيجه الخاص به، وبالتالي يقوم أفراد المجتمع بممارستها وتبنيها والدفاع عنها.

ومن هنا لا يمكن أن ننظر إلى المجتمع بمعزل عن خصوصيته التي يتميز بها، كما لا يمكن تجاهلها حين التعامل مع الظواهر الاجتماعية التي يزخر بها. وغالبًا ما يكون لعقيدة المجتمع وثقافته دور في تحديد خصوصية المجتمع، فهناك عملية تفاعل متبادلة بين عقيدة المجتمع وبين تراثه الثقافي والاجتماعي، وبين الأنشطة التطوعية الوقفية، والتي يتقبلها المجتمع لكي تُمارس فيه، فضلا عن قبول الأسر لهذه الأعمال ليمارسها أبناؤها. وتعد

---

(١) الترويح وأوقات الفراغ، عبدالله بن ناصر السدحان، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٩هـ. وكذلك: وقت الفراغ وكيفية استغلاله لدى الشباب في الإمارات العربية المتحدة، آمنه خليفة، مجلة شؤون اجتماعية، جمعية الاجتماعين، الشارقة، العدد ٤٦، ١٩٩٥. وكذلك: الشباب السعودي: الهموم والمشكلات والتطلعات، مركز أسبار للدراسات والبحوث والإعلام، الرياض، ٢٠٠٧م.

الأنشطة التطوعية التي يمارسها أفراد المجتمع ظاهرة اجتماعية تتأثر -كغيرها من الظواهر الاجتماعية الأُخَر- بقيم المجتمع العقدية وثقافته، ومبادئه، وأفكاره، وعاداته، وتقاليده، وغالبًا ما تكون تلك الأنشطة التطوعية في المجتمع نابعة منها أو متأثرة بها.

وعلى ذلك فإن الأنشطة التطوعية إذا لم تستمد وسائلها من البيئة التي توجد فيها فإنها تصبح عاجزةً عن العطاء، وعاجزةً عن تحقيق الأهداف التي تسعى إليها مؤسسة الوقف، ومن هنا فلا يمكننا أن نتعامل مع الأنشطة التطوعية في أي مجتمع بمعزل عن تلك الخصوصية التي يتميز بها المجتمع، وبخاصة عند وضع الخطط للمناشط التطوعية فيه، أو رسم برامجها، أو تصميم المنشآت التي تُمارس فيها، وتؤكد العديد من الدراسات على ضرورة مراعاة خصوصية كل مجتمع وعدم التصادم معها عند بدء التخطيط لأي مشروع من مشاريعه الاجتماعية.

إننا عندما نراعي قيم المجتمع الذي نخطط لبرامجه التطوعية، ونضع ذلك في اعتبارنا حين تصميم منشآت البرامج التطوعية، ونأخذ بالاعتبار العادات، والقيم، والأعراف السائدة في المجتمع، فإننا نساعد على نجاحها، بالإضافة إلى تحقيق أقصى فاعلية في الإنتاجية الاستثمارية لتلك البرامج. وبغير ذلك فإن الأمر لا يعدو أن يكون هدرًا ماليًا وبشريًا، دونما تحقيق الحد الأدنى من النجاح.

وأول هذه المعايير الحكم الشرعي في الغاية وكذلك الوسيلة وميدان العمل، فلا يمكن قبول الاختلاط في الكثير من المجتمعات الإسلامية، حتى وإن كان طابع العمل هو التطوع والبحث عن الأجر، وسيكون هناك ردود فعل قوية من الأسرة، وكذلك من الأفراد أنفسهم، (ذكورًا- إناثًا).

كما أن التقاليد المرعية ذات الخصوصية في المجتمع ينبغي أن يكون لها اعتبار حين النظر فيما يناسب المجتمع من مناشط تطوعية يحتاجها الوقف.

٥. توسيع النظر للأوقاف ليشمل وقف المنافع:

سبق تعريف الوقف بعبارة وجيزة وهي: تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة، والأصل في مشروعية الوقف في الإسلام السنة المطهرة والإجماع في الجملة، كما ذكر الإمام القرطبي -رحمه الله-: (إنه لا خلاف بين الأئمة في تحبيس القناطر والمساجد واختلفوا في غير ذلك). ولقد اتفق جمهور علماء السلف على جواز الوقف وصحته بناًء على أدلة من القرآن الكريم، كما ورد في العديد من الآثار القولية والفعلية عن الرسول -ﷺ- ما يؤكد مشروعية الوقف في الفقه الإسلامي، إلا أن ثمة اختلاف بين الفقهاء في ضبط الوقف من حيث اشتراط أن يكون عينيًا وأن يكون مؤبدًا، فالبعض منهم يصر على هذين الشرطين وهما: أن يكون الوقف عينا وأن يكون مؤبدًا ليُعدُ وقفًا، كما وجد غيرهم كذلك من تجاوز هذين الشرطين وهذا ظاهر في المذهب المالكي وبعض الفقهاء المعاصرين.

والذي يظهر أن التوجه العام يسير نحو إقرار ما يسمى بوقف المنافع -وهو مدار الحديث هنا-:

ففي (المؤتمر الثاني للأوقاف بالمملكة العربية السعودية) المنعقد في مكة المكرمة في عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، أوصى المؤتمر أمانته العامة بالتنسيق مع هيئات كبار العلماء والمجامع الفقهية للنظر في مدى شرعية وقف المنافع وجوازه والحقوق المباحة شرعا مثل الجانب المالي من الحقوق الذهنية ومنافع الأعيان والنقود.

وفي (منتدى قضايا الوقف الفقهية الثالث) المنعقد في دولة الكويت خلال عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) انتهى إلى جملة من القرارات حول هذا الأمر، ومنها ما يتعلق بوقف المنافع؛ حيث قرر المشاركون أنه يجوز وقف المنافع والحقوق لعموم النصوص الواردة في مشروعية الوقف، ولتحقيقه لمقاصد الشارع من الوقف، وأنه يجوز أن يكون وقف المنافع والحقوق على سبيل التأبيد أو التأقيت... وكذلك جواز وقف منافع الأشخاص وهو ما

يقدمونه من أوقاتهم في وجوه الخير، مثل خبرات الأطباء والمهندسين والمعلمين والمفكرين... إلخ، ذلك أن وقف المنافع والحقوق يحقق مقاصد الشرع من الوقف والمتمثلة في توسيع دائرة النفع العام وتمكين أكبر شريحة من المجتمع في الاستفادة من الأصول المالية المتوافرة التي يتكرر الانتفاع بها كلما دعت الحاجة إلى ذلك، فضلًا عن أنه من وسائل حفظ المال الذي هو أحد مقاصد الشرع، وقد أوصى المشاركون في المنتدى الجهات المنوط بها تشريع القوانين بإيجاد المظلة القانونية لوقف الحقوق والمنافع وتسهيل توثيق وقفها وتنظيم استغلالها والانتفاع بها(١).

إن النظر إلى الوقف بهذه السعة الفقهية والحاجة المجتمعية لسوف يتيح لمؤسسة الوقف أن تنطلق في الاستفادة من الشباب بشكل أكبر وأفق أرحب في مجال استفادة الأوقاف من الشباب، من خلال ما يُسمى (وقف الوقت)؛ ذلك أن استفادة مؤسسة الأوقاف من الشباب ستتجه إلى (وقف المنافع) بالدرجة الأولى، أكثر من كونها ستتجه إلى العينيات، إضافة إلى اتصافها بالتأقيت وليس بالتأبيد؛ كما سنرى حين الحديث في عن الآلية المقترحة.

٦. التعرف على دوافع العمل التطوعي لدى الشباب:

تشير إحدى الدراسات الميدانية على الشباب إلى أن أهم دافع للعمل التطوعي في المجتمع المسلم عامة والسعودي خاصة، هو الرغبة في الحصول على الأجر والثواب واحتساب ذلك عند الله(٢)،

---

(١) لمزيد من التوسع في موضوع وقف المنافع: انظر البحوث المقدمة في المحور الثالث في (المؤتمر الثاني للأوقاف بالمملكة العربية السعودية) المعنون (الرؤى الإصلاحية لمشكلات الوقف)، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، وكذلك انظر: البحوث المقدمة المحور الثاني في (منتدى قضايا الوقف الفقهية الثالث) المعنون (وقف المنافع والحقوق وتطبيقاته المعاصرة)، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

(٢) اتجاهات الشباب السعودي نحو العمل التطوعي، خالد بن يوسف برقاوي، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب

ذلك أن عمل الخير ونفع الآخرين يمثل جزءًا مهما من التركيبة النفسية للمسلم. وكأن فاعل الخير أو المتطوع يتمثل قول الله -ﷻ-: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[1]، بالإضافة إلى هذا الدافع الأساسي تشير الدراسات العلمية إلى وجود دوافع اجتماعية وشخصية أخرى، ومنها على سبيل المثال:

- الرغبة في تحقيق الذات والدفاع عن القيم ونشر المبادئ التي يؤمن بها المتطوع، وهذا الدافع أساس للنفس البشرية. فضلا عن أن شيوع التطوع وزيادته في المجتمع تعبير عن تقدمه وتحضره.
- الحصول على مشاعر الرضا عن النفس أو الراحة من قبل المتطوع جراء مساعدة الآخرين دون مقابلٍ، وهذه المشاعر قد لا تتوافر في العمل الرسمي حيث كثيرًا ما يشعر الفرد في عمله الرسمي بالضيق بسبب كثرة المهام، وعدم القدرة على إنجازها، أو وجود بيئة وظيفية غير ملائمة، الأمر الذي لا يؤدي في الغالب إلى وجود مشاعر الرضا عن النفس في العمل الرسمي.
- الرغبة في التعلم واكتساب المعارف الجديدة والنمو الشخصي حيث يدفع هذا الأمر الكثير إلى التطوع بالوقت والجهد. فقد يجد البعض أن أعمالهم ووظائفهم أصبحت روتينية رتيبة مملة لا تحقق مزيدًا من المعرفة ولا تقدم تحديات مشوقة، وهذا يكثر بخاصة بين فئة الشباب.
- الحاجة إلى الاتصال بالآخرين؛ حيث تؤدي هذه الحاجة الفطرية لدى الإنسان إلى الانضمام إلى أعمال التطوع بسبب الصداقات التي تؤثر على الإنسان فتجعله

=

والعلوم الإنسانية، م١٦، العدد ٢، ص ٦٥-١٣١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(١) سورة الإنسان، الآية ٩.

ينضم مع زملائه وأصدقائه إلى أعمال الخير والتطوع، وهذه خاصية من خصائص مرحلة الشباب ينبغي أن تستثمر في هذا المجال[١].

- الرغبة في شغل أوقات الفراغ، حيث يجد بعض الناس بعد أعمالهم الرسمية الكثير من الوقت الذي قد يتحول إلى فراغ ممل، فيجدون في التطوع أفضل سبيل للاستفادة من الوقت، وكما ذكر آنفا فإن فئة الشباب في منطقة الخليج العربي تمتلك الكثير من وقت الفراغ.

إن التعرف على هذه الدوافع للعمل التطوعي من قبل المؤسسات الوقفية يسهل عليها موضوع التعامل مع الشباب والمداخل التي يمكن أن تستثمر لتحقيقه المصلحة المتبادلة بين الوقف من جهة وفئة الشباب في المجتمع من جهة أخرى.

٧. شمولية النظر للمصلحة المتحققة للوقف والشباب:

لابد من توسعة النظر إلى الفوائد المتحققة من تعامل الوقف مع الشباب من خلال استفادة الوقف من الشباب من حيث أن تلك الاستفادة ستؤدي إلى حفظ أوقات الشباب من جانب وصرفها إلى الخير بعمومه، فإن الفراغ مولد للعديد من الإشكالات المجتمعية والمسلكية، كما ثبت أن إشغال الشاب بالمفيد يعني إشغاله عن غير المفيد، وفي ذلك نفع للأمة بشكل عام وبطريقة غير مباشرة، فضلا عن أن أسر هؤلاء الشباب، ستجد أن هذه الأعمال التطوعية التي احتوى الوقف أبناءهم فيها مصدر خير وبناء وتطوير وتوجيه لطاقات أبنائهم، في أعمال إيجابية تساعدهم على تربية هؤلاء الأبناء، وتحصينهم من الانحراف والضياع، مما يكسب المؤسسة الوقفية صورة ذهنية ايجابية بين

---

(١) العمل التطوعي عطاء وتنمية: الندوة العالمية للشباب الإسلامي كأنموذج، حميد بن خليل الشايجي، في (اللقاء السنوي الرابع للجهات الخيرية بالمنطقة الشرقية)، جمعية البر بالمنطقة الشرقية، المملكة العربية السعودية، الدمام، ١٤٢٤هـ، ص ٢١٥.

أفراد المجتمع.

كما أن النظرة الشمولية لتعامل الوقف مع الشباب تستدعي النظر إلى حاجة الوقف والمؤسسة الوقفية إلى كل الطاقات والجهود سواء ما كان منها في الفكر أو التخطيط أو على مستوى التنفيذ العملي الميداني، وهذا الشق الأخير هو الذي يجيده الشباب بالفعل متى وجد التوجيه المناسب، فالحاجة في المؤسسة الوقفية ليست مقتصرة على المال فقط، ولاشك أن المال مهم بل هو عصب المؤسسة الوقفية ولكنه لا يمثل كل الاحتياج، بل الحاجة قائمة إلى الطاقات البشرية والسواعد الفتية والأذهان الحادة التي تتفتق كل يوم عن فكرة جديدة أو مشروع وقفي واعد.

وبعد؛ فهذه أبرز المنطلقات التي يرى الباحث أنها بمثابة المحددات الأساس لاستفادة مؤسسة الوقف من الشباب حيث تتمثل في قوتهم العددية، وكذلك قوتهم النوعية، والسعي لتحقيق الاستفادة مما يمتلكه قطاع الشباب بالفعل، ولا نطالبهم بأكثر من ذلك، مع الأخذ في الاعتبار ضرورة توسعة النظر في تعريف الوقف ليشمل وقف المنافع، وكل ذلك محاط بمراعاة خصوصية المجتمع وعاداته وتقاليده.

الآلية المقترحة لتحقيق (وقف الوقت) لدى الشباب

تتنوع حاجات المجتمع وتتجدد تبعا للحال الاقتصادية التي يعيشها المجتمع، وتختلف الحاجات بناء على مدى توافر الخدمات الأساسية وتقديمها من قبل الحكومات والدول، ومما لا يخفى أن حاجة كل مجتمع تختلف عن حاجة مجتمع آخر متى تغيرت الحال المكانية أو الزمانية، ولئن كانت الحاجات للمجتمعات وأفرادها محدودة كمًا وكيفًا في السابق، وكانت قابلة للسد والتغطية بأدنى جهد، فإنه مع تعقد الحياة وتزايد عدد السكان وتداخل المصالح وتشابك العلاقات نجد أن الجهود التي كانت تُبذل لسد احتياجات مجتمع ما، أو بعضا من أفراده تحتاج إلى مراجعة لتواكب تلك التغيرات التي

طرأت على حياة الإنسان المعاصر، ومن ذلك المجتمع المسلم على اختلاف أجناسه وأقطاره.

ويتميز الوقف بمفهومه الواسع في الحضارة الإسلامية بعدم محدوديته مكانًا وزمانًا وكمًا وكيفًا، إضافة إلى اتساع آفاق مجالاته العملية الملبية لاحتياجات الناس الفردية والجماعية، فضلا عما يمتلكه من قدرة ذاتية على تطوير أساليب التعامل معه، وهذه القدرة جزء لا يتجزأ من كينونة نظام الوقف ذاته، فالوقف يحمل في داخله بذور بقائه وإمكانات تطوره في المستقبل، ليس فقط في المجتمع الإسلامي، بل في بناء نظرية عالمية إنسانية تحمل الروح الإنسانية التي تسع الإنسان والتي كان الوقف أحد الابتكارات الإسلامية التي ترجمت هذا المعنى على أرض الواقع، وكل هذا كفل للمجتمع المسلم ومن يعش معه في دولته التراحم والتواد بين أفراده على مر العصور، بمختلف مستوياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها الأمة الإسلامية خلال الأربعة عشر قرنًا الماضية[١].

والواقع يستدعي إعادة النظر في كيفية تجديد دور الوقف وتعامله مع فئات المجتمع وفق نظرة استشرافية للمستقبل بعد معرفة الدور الذي كان ينهض به الوقف في مجالات التنمية وذلك وفق صيغ إدارية عصرية متطورة يساير مستجدات العصر العلمية والإدارية وكل ذلك يمكن أن يحدث دونما تثريب على السبل القديمة التي كانت هي المتاح لأسلافنا قديما، وكانت تلك اجتهاداتهم وفق إمكانات عصرهم فلقد أدى "الوقف دورًا أساسيًا في تمويل القطاعات التعليمية والقطاعات الصحية إلى جانب تمويل المشروعات الدينية والدعوية اللازمة للتنمية وهي المشروعات التي تستهدف بناء الإنسان روحًا وعقلًا

(١) الأوقاف والمجتمع: الآفاق المستقبلية للأوقاف ودورها في تماسك المجتمعات وترابطها، عبدالله بن ناصر السدحان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٧هـ، ص ١١.

وجسما ولم يقف الدور التمويلي للوقف عند ذلك بل ساهم في دعم المشروعات والأنشطة الاقتصادية والزراعية والصناعية والتجارية إلى جانب الخدمات ولقد تميز هذا الإسهام عندما لم يكن للدولة الإسلامية مخصصات مالية محددة توزع على تلك القطاعات، وكان دورها منصبًا على الدفاع والحراسة والأمن والمراقبة والتوجيه، ولكن بعد ظهور مفهوم الدولة الحديثة الذي جعلها تتدخل في دعم الأنشطة الاقتصادية وتمويل التنمية تضاءل دور الوقف كمؤسسة إسلامية في تمويل مشروعات التنمية في المجتمعات الإسلامية حتى أصبح دوره محصورًا في بناء المساجد والصرف عليها وما ترتب على ذلك من جعل الوقف محصورا في زاوية ضيقة من التنمية"[١].

ولاشك أن هناك عددًا من الأسباب التي تجعل نظام الوقف في الدول الخليجية مازال لم يأخذ مكانه الصحيح في تنمية المجتمع -مع بعض الاستثناءات-، ومن ذلك شيوع اعتقاد خاطئ أن الأوقاف ليست سوى إدارة حكومية تعنى بشؤون المساجد والأئمة والمؤذنين، إضافة إلى الإهمال الذي أصاب الأوقاف في فترات سابقة، وعدم العناية بها، وتدني كفاءتها إداريًا ووظيفيًا، وضآلة إسهام الأوقاف في المجال الاجتماعي العام، وبخاصة إبان الطفرة النفطية؛ نظرًا لاضطلاع الدول بتقديم مختلف صور الرعاية والضمان الاجتماعي، وقد ترتب على توسع دور الدولة ضمور الأنشطة المجتمعية بصفة عامة، ومنها الأوقاف، إضافة إلى النظرة الضيقة إلى الوقف على أنه فقط مؤسسة دينية؛ ومن ثم فهو لا صلة له بالشأن الاجتماعي المدني لدى أكثر مستخدمي مفهوم المجتمع المدني كنقيض للمجتمع الديني[٢].

---

(١) الوقف كمصدر اقتصادي لتنمية المجتمعات الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٢٣٨.

(٢) انظر: فاعلية نظام الوقف في توثيق التضامن بين المجتمع والدولة في دول الخليج العربي، مرجع سابق.

وهناك من يرى أنه يمكن تمثيل تطور الوقف بخط بياني متصاعد باستمرار، منذ نواته الأولى في عهد الرسول محمّد -ﷺ- التي كانت تقتصر على نوع واحد بسيط (أراضي مثمرة)، وحتى اتساعه ليشمل المنقولات (الكتب والسلاح والنقود الخ)، وقيامه ببناء سلسلة من المنشآت التي أصبحت أساسية في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، ومع أن هذا الخط البياني الذي يعكس تطور الوقف قد تصاعد بالكم والنوع في الدول السابقة وخاصة في الزنكية والأيوبية والمملوكية إلا أنه وصل إلى ذروته في الدولة العثمانية.. ولكن من الملاحظ وجود نوع من الهوة التي تفصل المجتمعات العربية المعاصرة عن الوقف بتجربته التاريخية الغنية التي وصلت إلى ذروتها في الدولة العثمانية رغم مجاورة تلك الدول لها، بل وحكم الدولة العثمانية لبعضها، فيكاد الوقف يقتصر على مجال ضيق في البلاد العربية وهو في الجوامع التي تتبع وزارة الأوقاف المعنية بها[١].

ومن كل هذه المقدمات التي تصف الوقف ومصارفه في السابق وكيف استطاع تلبية احتياجات المجتمع باقتدار، وتميز واضحين، وفق إمكاناته، وفي ضوء المنطلقات التي سبق ذكرها في موضوع الاستفادة من الشباب والمتمثلة في كثرتهم العددية في المجتمع، وكذلك ما يتصفون به من خصائص ذاتية اجتماعيًا ونفسيًا، يمكن القول: إن تحقيق الاستفادة من الشباب في مجال الأوقاف ينطلق من مدخل (وقف المنافع) وهو الاستفادة من أوقاتهم وطاقاتهم في مجال تخصصاتهم، لمن كان منهم انتهى من تخصصه الجامعي، أو مازال في طور الدراسة، ولعل أبرز تطبيق عملي في هذا المجال هو ما يسمى بمشروع (وقف الوقت)، وتتمحور فكرته ببساطة حول: تخصيص جزء من وقت الشاب أو الشابة للتطوع في خدمة المجتمع.

---

(١) انظر: الوقف في الدولة العثمانية: قراءة معاصرة، مرجع سابق، ص ٤٨.

فلقد عرف المجتمع الخليجي التطوع، بل هو أصيل فيه من منطلقات دينية وإنسانية واجتماعية وثقافية، ولكنه مازال فردي الأداء، عفوي التوجه، وهذه الصفات معوقات معتبرة في سبيل الوصول إلى العمل التطوعي الخيري المنظم؛ الذي من أبرز صفاته: المنهجية العلمية، والاستدامة، والشمولية، والشفافية، والثقة، والاستقرار، والانتشار، والإنماء الشامل للفرد والجماعة والمجتمع، إلا أن عدم مأسسته بالقوالب الحديثة، في الإدارة المتخصصة للعمل التطوعي، يجعله محدود الأثر، من أجل ذلك ينظر إلى العمل التطوعي المؤسسي أنه خير ضمانة لاستفادة المؤسسة الوقفية من الشباب من مدخل التطوع الواسع، وذلك لما يتمتع به من نبل المقصد وسلامة التوجه.

وهذا المشروع (**وقف الوقت**)، بدأت بذرته على أرض الواقع في دولة الكويت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، وهو الاسم الاعلامي لمشروع رعاية العمل التطوعي الكويتي والذي من خلال اسمه تمّ اختزال فكرة وفلسفة الدور الوقفي الجديد، القائم على استهداف مساحات جديدة في العمل المجتمعي التنموي، واستجابة لاحتياجاته المتطورة، حيث يأتي القطاع التطوعي ضمن الأولويات التي ينبغي أن يستهدفها الدور الوقفي الجديد، وبخاصة في ظل انتشار ظاهرة تقلص الأدوار الحكومية لصالح أدوار أكبر للمؤسسات التطوعية، حيث بات التطوع يشكل القطاع الثالث الذي تُبنى عليه الدولة الحديثة بالإضافة إلى القطاعين العام والخاص، وهذا ما جعل المتابعين لشأنه والراصدين لمسيرته يبحثون عن آليات جديدة تعزز من مكتسباته وتنزله منازل الريادة التي يستحقها، من خلال الموازنة بين تركيز الاهتمام بتنمية الجانب المؤسسي له، والذي أثبتت الحاجة إلى ضرورة إفراده بجهد مركز ليتلاءم وحجم التحديات التي تواجهه، وبين الحاجات الفعلية اليومية التي تساهم في النهوض بالتطوع مفهومًا وحركة، فكان (وقف الوقت) ترجمة حقيقية لاهتمام المؤسسة الوقفية بالقطاع التطوعي، وليضيف إسهامًا وقفيًا متفردًا لحركة التنمية المجتمعية

من حيث أنه إسهام وقفي يستهدف العمل في مساحة تكاد تكون مهملة، مما يسهم في سد ثغرة مهمة من خلال العمل التطوعي، كما أنه إسهام خدمي يستجيب لاحتياجات المنظمات الأهلية الخاصة بالجانب المؤسسي كالتدريب، والاستشارات.

ويهدف مشروع (وقف الوقت) إلى:

١. تنمية ميل الأفراد والمؤسسات إلىالإقبال على العمل التطوعي.

٢. إعداد الشباب وفئات المجتمع الأخرى وتأهيلهم لممارسة العمل التطوعي.

٣. مساعدة المنظمات الأهلية في الحصول على ما تحتاجه من العناصر المتطوعة.

٤. تنشيط البحث العلمي في مجال العمل التطوعي[١].

وقد يتساءل البعض هل ثمة علاقة بين الوقف والتطوع؟ وللإجابة عن هذا السؤال يمكن القول:

إن فكرة العمل التطوعي تستند إلى رؤية معرفية أساسها حرية الإرادة والقدرة على التصرف دون إكراه لتحقيق مصلحة أو منفعة ذات صفة جماعية، وعلى أساس هذه الرؤية فإن صيغ العمل التطوعي تتعدد بتعدد الإرادات الفردية وتنضبط بضوابط المصالح الاجتماعية والمنافع العمومية.

وبهذا المعنى فإن فكرة الوقف تنتمي إلى منظومة العمل التطوعي التي حض عليها الإسلام الحنيف، على سبيل الترغيب والندب إلى فضائل الأخلاق والأعمال، فالتطوع هو ما تبرع به الإنسان من ذات نفسه، والمتطوع هو الذي يفعل الشيء الإيجابي تبرعًا دون انتظار مقابل مادي، بل ابتغاء مرضاة الله ونيل ثوابه، والوقف هو نوع من التبرعات، وإن كان يتميز أنه دائم، لا ينقطع طبقًا لمفهوم الصدقة الجارية. فضلًا عن ارتباط كافة

---

(١) انظر: شبكة التطوع الكويتية:

http://www.waqfalwaqt.net

صور العمل التطوعي في المنظور الإسلامي بالإيمان بالله تعالى، وأن هذا الارتباط هو الذي يوفر لها القوة المعنوية اللازمة لدفع الفرد للقيام بها طائعًا مختارًا، ولا تستعبد الرؤية الإسلامية أي عمل مهما صغر حجمه، ابتداءً من إماطة الأذى عن الطريق التي عدها الرسول -ﷺ- أدنى شعب الإيمان وصولًا إلى التضحية بالنفس في سبيل الله.

ومعنى ذلك أن ثمة إطارٌ واسعٌ لمنظومة التطوع الذي يحض عليه الإسلام، كما أن منظومة العمل التطوعي بكل مكوناتها في الإسلام تنتمي إلى قيم أساسية هي: قيمة التضامن، والتكافل الاجتماعي، كما أنها تنتمي إلى قيمة روحية أعلى وهي قيمة التقوى والعمل الصالح من ناحية أخرى.

وهذا الانتماء الذي يجمع بين طرفي معادلة الروح والمادة لا يتوافر لأية منظومة تطوعية أخرى، مستمدة من أصول الفلسفات الوضعية، وتتجلى الأهمية الكبرى لهذا الانتماء المزدوج في كل مكونات منظومة الأعمال التطوعية التي حض عليها الإسلام، وفي مقدمتها الوقف الذي هو في أصل وضعه الشرعي عبارة عن صدقة جارية؛ المراد منها القرب من الله تعالى عن طريق الإنفاق في وجوه البر والخيرات والمنافع العامة على اختلاف أنواعها وتعدد مجالاتها[١].

وبكل حال فلو لم يكن للتطوع المجرد من مزية سوى إظهار حسن تمسك المسلمين بقيم دينهم الحنيف الذي يحض على التراحم والتضامن والتكافل فيما بينهم، وتصويرهم بصورة الرحمة المهداة لكفى به مزية، إلا أنه مع ذلك يحقق للمتطوع ومجتمعه والأمة الإسلامية جمعاء فوائد عديدة منها:

١. إن التطوع من خلال المؤسسة الوقفية يعوّد المتطوع على الإيثار وكفى به مكرمة

---

(١) ملاحظات حول نظام الوقف ومنظومة التطوع، إبراهيم البيومي غانم، شبكة التطوع الكويتية:
http://www.waqfalwaqt.net.

تنفي عن المسلم الشح الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١]، وحذر منه النبي -ﷺ- بقوله: ((اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ))[٢].

٢. يحقق التطوع فوائد معنوية للمتطوع تتمثل في شعوره بالسعادة لمشاركة إخوانه في الضراء وتخفيف معاناتهم، فيشكروا الله تعالى، بدلًا من أن يحقد أفراد المجتمع على بعضهم. وفي هذا استقامة لأمر الفرد المسلم ومجتمعه، حيث إن الحاجة قد تقود إلى سلوك اجتماعي سيء.

٣. تؤدي الأعمال التطوعية إلى تحقيق التكامل مع العمل الحكومي وتدعيمه لصالح المجتمع، عن طريق رفع مستوى الخدمة أو توسيعها، إضافة إلى أنه يسعى إلى توفير خدمات قد يصعب على الإدارة الحكومية تقديمها لما تتسم به الأجهزة التطوعية من مرونة وقدرة على الحركة السريعة، كما أن المتطوع عندما يقدم وقته وخدماته طوعًا يُعدُ أداة أفضل من الموظفين مدفوعي الأجر.

٤. إن العمل التطوعي يزيد من لحمة التماسك الوطني، وهذا دور اجتماعي مهم يقوم به العمل التطوعي فإنه من الأهمية للمجتمعات إتاحة الفرصة أمام المواطنين

---

(١) سورة الحشر، الآية ٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم ٦٥٧٦.

للعطاء التطوعي إن رغبوا بذلك[١]. وفي ذلك مكسب كبير للمؤسسة الوقفية في وقتنا المعاصر.

والمقصود هنا أن تحقيق استفادة الأوقاف من الشباب يتأتى من خلال التعامل مع إمكانات الشباب وما يمتلكونه، وما يمكنهم بالفعل من تقديمه، فعلى سبيل المثال أظهر أحدث تقرير إحصائي عن الأعمال الاجتماعية أن (٤٤%) من البالغين في المجتمع الأمريكي يتطوعون بوقتهم للأعمال التطوعية ويعطون ما متوسطه (٣.٦) ساعة تطوع في الأسبوع. وفي كندا بلغت نسبة المتطوعين بوقتهم (٢٧%) من أفراد المجتمع الكندي، وفي هولندا بلغ عدد المتطوعين بوقتهم (٣.٥) مليون متطوع في المجتمع الهولندي[٢].

وبكل حال فمما سبق ذكره ومن تجارب الآخرين يمكن القول: إن ما يناسب فئة الشباب لخدمة المؤسسة الوقفية هو التبرع بالوقت من خلال منظومة التطوع لينضوي تحت مظلة ما يسمى بـ(وقف المنافع)، بعد الأخذ بالنظرة الشمولية للتعامل مع الوقف وتعريفه، وهناك العشرات من الأعمال التي يمكن للأوقاف أن تستفيد من الشباب فيها، بل إن الأعمال أكبر في تنوعها من أن تستوعب كل الشباب الذي سينذر نفسه للوقف من خلال العمل التطوعي، أو (وقف الوقت)، ولا يمكن بحال من الأحوال حصر المجالات لكثرتها وتنوعها، وفقا لاحتياج كل مجتمع، إلا أن المنطلق الأساس في هذا هو ترغيب الشباب لينخرطوا في الأعمال التطوعية وفق منهجية واضحة، وخطوات محددة تضمن دخولهم في رحاب التطوع، وتسعى إلى ترغيبهم للاستمرار، وتجاهد لبقائهم لأطول مدة ممكنة في هذا المجال، وهذا يستدعي الأخذ بالمنهج العلمي للتعامل معهم وفق

---

(١) العمل التطوعي عطاء وتنمية: الندوة العالمية للشباب الإسلامي كأنموذج، مرجع سابق، ص ٢١١.

(٢) الإنفاق الخيري في الولايات المتحدة الأمريكية بعد ١١ سبتمبر، إبراهيم حسب الله، موقع صيد الفوائد: www.saaid.net.

النظريات الاجتماعية والنفسية للتعامل مع فئة الشباب، ومن هنا يزول الاستغراب إذا كان من متطلبات نجاح هذا البرنامج وجود أخصائيين نفسيين وكذلك أخصائيين اجتماعيين –من الجنسيين– يحسنون التعامل مع الشباب وفق أسس مدروسة.

ولكي نضمن نجاح هذه العملية الاستحواذية لضم الشباب إلى مجال الوقف يحسُن بنا استعراض عدد من الخطوات للتعامل معهم بدءًا من ترغيبهم إلى الدخول في العمل التطوعي، وانتهاء باستمرارهم فيه؛ وذلك وفق الخطوات الآتية: وهي مجموعة خطوات تمّ ذكرها باختصار، ويمكن لمن احتاج إلى المزيد من التوسع الرجوع إلى بعض الكتب المختصة في كيفية استقطاب المتطوعين وكيفية المحافظة عليهم:

الخطوة الأولى: الإعلان عن الحاجة:

- الإعلان عن حاجة المؤسسة إلى المزيد من المتطوعين بناء على نوعية الأعمال والبرامج والأنشطة التي ترغب في شغلها بالمهرة، ومما يلفت النظر أن دراسة بين الشباب الجامعي عن العمل التطوعي ذكروا فيها وبنسبة عالية جدًا أن من أهم معوقات العمل التطوعي لديهم هو عدم الإعلان عن برامج العمل التطوعي في الوسائل الإعلامية بصورة كافية [(١)]، وهذا يؤكد على ضرورة عدد من الخطوات العملية، مع الاستفادة من وسائل التواصل الحديثة، ويتطلب ذلك ما يلي:

أ- حصر المتطوعين الذين سبق لهم التطوع والاتصال بهم للتأكد من وجودهم وضمان استمراريتهم، وتحديث البيانات الخاصة بهم.

ب- ضرورة الإعلان عن حاجة المؤسسة إلى مزيد من المتطوعين، ويمكن أن يعتمد

---

(١) اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي: دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود، فهد بن سلطان السلطان، مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية لدول الخليج العربي، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٤٠.

في ذلك على مجموعة من الوسائل والتي من أهمها: الاتصالات الشخصية عن طريق المتطوعين والمسؤولين بالمؤسسة أو طلاب الجامعات أو من خلال الإعلان بالمساجد أو المؤسسات الموجودة في المجتمع، إضافة إلى الاتصال بالعلماء، وطلاب العلم، والاستعانة بهم في الدعوة إلى التطوع؛ لما لهم من وزن مجتمعي، ويمكن توسيع نطاق الإعلان ليشمل أجهزة الإعلام من تلفزيون وإذاعة وصحافة وانترنت.

الخطوة الثانية: الاستعداد لاستقبال المتطوعين:

إن الإعلان عن الحاجة إلى المتطوعين يستلزم الاستعداد أولًا لاستقبالهم، بل يجب أن تحرص المؤسسة كل الحرص على ألا يتم الإعلان حتى تستكمل كافة الترتيبات اللازمة.

وبذلك سيكون لها الأثر الإيجابي على المتقدمين للتطوع وشعورهم بالجدية والتنظيم ويشمل ذلك ما يلي:

- تهيئة المكان المناسب وتحديد الزمن المناسب لاستقبال المتطوعين.
- توفير العدد المناسب من الكتيبات التعريفية بالمؤسسة وأنشطتها والبرامج التي تقوم بتنفيذها.
- إعطاؤهم فكرة عامة عن التطوع والمهام التي يمكن أن يقوموا بها ومعرفة خبراتهم وتخصصاتهم.
- التعريف بصورة مفصلة بطبيعة الأعمال المرشح لها المتطوع، وما تجلبه من مسرات، وما يكتنفها من صعوبات أو مشقات، ولا يُكتفى بالنبذ اليسيرة؛ وذلك لأن ردة الفعل ستكون سلبية، حين لا تكون تلك الأعمال حسب ما تصوره الفرد، فينعكس ذلك سلبيًا على حماسه.
- الإجابة عن كل التساؤلات بكل شفافية ووضوح، حيث تكثر أحيانًا الإشاعات

والأقاويل حول نشاطات بعض المؤسسات أو بعض العاملين فيها.

- التأكيد على ضرورة الاتصال بالمؤسسة بصورة دورية، وتحديث المعلومات الخاصة بهم عند تغيرها. أو عند انتقالهم إلى أية جهة أو مدينة أخرى.

الخطوة الثالثة: تدريب المتطوعين:

إن من الضروري عند استقبال المتطوعين أن يكون هناك برنامج عملي لتدريبهم وتزويدهم بالمهارات اللازمة في مجال عملهم التطوعي وتجلية مفهوم التطوع، وربط ذلك بأهداف المؤسسة وما يجب على المتطوع من مسؤوليات وماله من حقوق. ويمكن إتباع مجموعة من الخطوات ومنها:

- الاتصال بالجهات ذات الاختصاص؛ كالاتصال بالمتخصصين في الخدمة الاجتماعية، أو علم الاجتماع، أو علم النفس بالجامعات؛ للمشاركة في إعداد برنامج خاص لتدريب المتطوعين.
- الاتصال بذوي الخبرة من أساتذة ومتطوعين لهم سابق خبرة في المجال التطوعي.
- إعداد المكان المناسب لتدريب المتطوعين.
- تحديد المدة الزمنية اللازمة لتدريب المتطوعين.
- يجب أن يأخذ التدريب طابع المحاضرات، وأسلوب التطبيق العملي في البرامج التطوعية.
- تنظيم لقاءات دورية مع المسؤولين بالمؤسسة.
- العمل على توزيع المتطوعين على البرامج والأنشطة التي تقوم المؤسسة بتنفيذها حال انتهاء البرنامج التدريبي لأشعارهم بالجدية، ولكي يكونوا على صلة مستمرة بها.

الخطوة الرابعة: متابعة المتطوعين:

ولكي تضمن المؤسسة -بمشيئة الله- نجاح البرنامج فلابد من متابعة المتطوعين من الحين للآخر والمتابعة تتخذ صورًا متعددة منها:

- الاتصال هاتفيًا بالمتطوعين من وقت إلى آخر للاطمئنان عليهم، وإشعارهم بمتابعة المؤسسة لهم.
- دعوة المتطوعين إلى الحضور إلى المؤسسة، والاستعانة بهم في تنفيذ البرامج المختلفة.
- تنظيم لقاءات دورية مع المسؤولين في المؤسسات.
- الاتصال بالمؤسسات الأخرى والتنسيق معهم بشأن تزويدهم بما يحتاجونه من المتطوعين، والاستعانة بما لديهم من خبرات ومهارات لتوثيق العلاقة بين المؤسسات وبعضها بعضًا.
- العمل على عقد اجتماعات دورية مع المتطوعين وإعداد شهادات شكر وتقدير للمنتظمين والمتميزين منهم؛ لكي يكون حافزًا لاستمرارهم في بذل المزيد من الجهد.
- إعداد حفل ختامي نهاية العام وتوجيه الدعوة إلى المتطوعين لحضوره وتكريم البارزين منهم.
- الاتصال بالمتطوعين بين الحين والآخر وإمدادهم بكل جديد على مستوى العمل بالمؤسسة.

الخطوة الخامسة: تقييم أداء المتطوعين:

من الضروري بعد كل جهد يبذل أن تعمل المؤسسة على تقييمه. فتقييم أداء المتطوعين باستمرار يساعد على اكتشاف نواحي القوة لتدعيمها، ونواحي القصور لمحاولة

تلافيها. ولهذا يكون التقييم مرحليًا أو تقييمًا كليًا، حسب العمل الذي يقوم بإنجازه المتطوع. والاستعانة بالخبراء لاستخدام المناهج الحديثة في التقويم وذلك من أجل الرقي بالعمل وتحقيق الأهداف بأعلى كفاءة ممكنة [١].

ومما لاشك فيه أن النجاح في هذه المهمة قبل ذلك كله وبعد توفيق الله هو تذكير المتطوع بواجبه في الشعور بالجسد الواحد، وهو من واجبات الأخوة في الدين، فالأخوة الإسلامية قوة إيمانية نفسية، تورث الشعور العميق بالعاطفة، والمحبة والاحترام، والثقة المتبادلة، مع كل من تربطه وإياه أواصر العقيدة الإسلامية، وتذكيره بالأجر المترتب على مثل هذه الأعمال في الدنيا والآخرة: فالآيات في هذا كثيرة جدًا فحين يستذكر المسلم هذه الفضائل والمزايا فسيكون دافعًا قويًا لأن يقدم على المساهمة في الأعمال الخيرية بصورة من الصور.

وإن من يتأمل الخطوات الخمس السابقة ليقف إعجابا لما تقوم به الأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت من خطوات عملية في مجال ما عرف مؤخرًا بـ(**وقف الوقت**)، وإن كان مقصورًا الآن على دولة الكويت كتطبيق عملي لكنه يُعدُ منهجًا مؤسسيًا يمكن الاحتذاء به على مستوى العالم الإسلامي، وإبراز الجهود التي تمّت لديهم بالفعل، وهي:

١. إقرار منهج تعليمي عن التطوع في الجامعة من خلال تقديم مقرر دراسي لمدة فصل دراسي، ويشمل موضوعات التطوع كافة، كما يحتوي على جانب تطبيقي ميداني إلى الجانب النظري.

٢. مأسسة العمل التطوعي من خلال إعداد ميثاق عمل المتطوعين والسعي لإقراره.

---

(١) الوسائل الاجتماعية لاستقطاب المتطوعين، عبدالله بن حضيض السلمي، في (اللقاء السنوي الرابع للجهات الخيرية بالمنطقة الشرقية)، جمعية البر بالمنطقة الشرقية، المملكة العربية السعودية، الدمام، ١٤٢٤هـ، ص ٨٢.

٣. ترجمة أدبيات التطوع والدراسات والأبحاث ونشرات، ومقالات التطوع التي تنشر بلغات غير العربية، ونقلها إلى اللغة العربية، وطباعتها وتوزيعها، ولا شك أن ذلك سيثري التطوع في العالم الإسلامي وليس في دولة الكويت فقط.

٤. تنظيم برامج تدريبية خاصة بالمتطوعين، في مجال مهارات إدارة العمل التطوعي، وتنمية مهارات العمل الجماعي وبناء فرق العمل، ومهارات التخطيط والتنفيذ.

٥. إنشاء (شبكة التطوع الكويتية) على الإنترنت (www.waqfalwaqt.com) وهو موقع على شبكة الإنترنت، تنشر فيه كافة المعلومات التعريفية بمشروع (وقف الوقت)، وأخباره.

٦. السعي لإنشاء مجلس أعلى للعمل الخيري وتحقيق التنسيق والتكامل في العمل الخيري [١].

معوقات تفعيل (وقف الوقت) لدى الشباب

هناك العديد من المعوقات التي يتوقع أن تقف حائلًا أمام مشروع استفادة المؤسسة الوقفية من الشباب عبر مشروع (**وقف الوقت**)، ومن خلال التعرف على هذه المعوقات يسهل التعامل معها وتجاوزها بإذن الله.

ومن أبرز هذه المعوقات بصورة إجمالية: غفلة الشباب عن الأجر الأخروي العظيم المترتب على الأعمال التطوعية، حيث تنشأ هذه الغفلة بالاستغراق في مشاغل الحياة وهمومها الكثيرة، فيعرض كثير منهم عن المساهمة في الأعمال التطوعية، ومن هنا فإن استعراض بعض الأدلة وتذكيرهم بها بين الحين والحين، يمكن أن يحفز بعض الأفراد لتحويل هذا الشعور إلى حركة فاعلة، وعمل إيجابي يدفع الشاب إلى الأعمال التطوعية

(١) موقع الأمانة العامة للأوقاف: http://www.awqaf.org

والمداومة عليها، كما أن استشعاره لما يقوم به من أعمال نفع متعدٍ لا يقتصر على القائم والمساهم بتلك الأعمال بل يتعدى بنفعه إلى عدد كبير من إخوانه المحتاجين، سوف يدفعه إلى المساهمة بتلك الأعمال. فحين يستذكر الشاب هذه الأجور وهذه البشارات من الله، وكذلك كون الفعل نفع متعدٍ، إضافة إلى ما تحرزه من زيادة الإيمان لدى القائم بهذه الأعمال، إضافة إلى الرفعة في الدنيا والآخرة، فلا شك ستتحرك عنده الدافعية نحو الفوز بهذا الأجر وهذه المنزلة، وقد يسلك طرقًا متعددة منها الانخراط في العمل التطوعي.

ولكن هذا لا يمنع ومن وجود موانع محددة لكل جانب من جوانب المشروع وهي: الأفراد، والمؤسسات الوقفية، والمجتمع بعمومه. ولقد ناقش عدد من المختصين الباحثين قضية عدم إقبال الناس على المشاركة التطوعية، وسنعرض هنا بشكل مجمل عوائق المشاركة التطوعية من جانب الفرد ودوافعه، والمؤسسات التطوعية ومنها الوقفية بطبيعة الحال، وأخيرًا المجتمع ذاته الذي يعيش فيه الفرد وتعمل فيه المؤسسات الوقفية، ويؤثر فيها كما يتأثر بها وذلك على النحو التالي:

أ- ما يتعلق بالأفراد أنفسهم، ومن ذلك:

- ضعف الثقة بالذات، وهذا عرض نفسي يعتري كثيرًا من الشباب، وقد يرجع ذلك إلى أساليب التنشئة الاجتماعية التي تربوا عليها في الصغر، فتجد الشاب لديه الرغبة في المساهمة في الأعمال الخيرية، ولكنه يبقى مترددًا من المبادأة والإقدام عليها، ومرد هذا الخوف هو الفشل أو النقد أو الرهبة الاجتماعية، ولعل بعضًا من التشجيع والتدريب والتكليف التدريجي، إضافة إلى الجانب الإعلامي حول طبيعة أنشطة هذه المؤسسة أو تلك، ومع عرض لنماذج حية من الشباب في الميدان وهم يمارسون الأنشطة التطوعية، قد يعالج هذا الجانب النفسي.

- الرهبة من المجهول: ذلك أن كثيرًا من الشباب لديه الرغبة في التطوع والمساهمة في المشاريع الخيرية، ولكن جهلهم ببرامج وأنشطة واحتياجات تلك المؤسسات الوقفية يكون عائقًا أمام المساهمة، وهذه مسؤولية مشتركة مع بعض المؤسسات الوقفية فقد يكون لديها تقصير في الجوانب الإعلامية مما يحرمها قدرات ومواهب تتطلع لبذل نفسها ووقتها منن خلال المؤسسات الوقفية.
- الخوف من أن المشاركة ستلزم الشاب بمسؤوليات ربما لا يستطيع الوفاء بها، أو الخوف من الالتزام الأدبي والمادي. إضافة إلى أنه قد توجد خبرة سلبية سابقة للمتطوع، والتي يمكن أن يحولها إلى ما يطلب منه من مساهمات فيتراجع عن المشاركة.

ب- عوائق تعود إلى طبيعة المنظمات، ومن ذلك:

- عدم إعلان المنظمة عن حاجتها إلى المتطوعين، فقد يوجد الكثير من الشباب لديهم الاستعداد للتطوع والرغبة فيه، ولكن لا يعلمون شيئًا عن هذه المنظمات التي يمكن أن تحتويهم، بمعنى وجود هوة بين الشباب وبين المؤسسة الوقفية، وعلى سبيل المثال بينت إحدى الدراسات المسحية أن (٣٠%) من أفراد المجتمع المصري لا يدركون معنى الوقف والأغلبية يظنون أنه أملاك الحكومة [١].
- غياب أهداف المنظمة عن بعض القائمين على المؤسسات الوقفية، وضعف جوانب التخطيط والإدارة لديها، أو نقص الكفاية الإدارية لدى بعضهم، مما

(١) موقع العطاء الاجتماعي:

http://www.neareast.org .

يجعل البيئة الإدارية للمؤسسة الوقفية بيئة طاردة للمتطوعين بشكل غير مباشر.

- تعقد الإجراءات الإدارية داخل المؤسسة الوقفية، وبخاصة إذا كانت هذه الإجراءات الإدارية على مساس كبير بالمتطوعين.
- وجود تنافس بين المتطوعين والموظفين مما قد يؤثر على مستوى أداء المتطوعين، وبخاصة إذا أشعرت المؤسسة الوقفية الموظفين لديها أن المتطوعين أفضل منهم وذلك من باب تشجيع المتطوعين؛ فهذا قد يكون مؤديًا إلى ضرر على الموظفين، مما يجعلهم يعمدون إلى إفشال تجربة المتطوعين أو التقليل منها ونتائجها.
- عدم التدرج في إسناد الأعمال التطوعية حسب صعوبتها، حيث تعتقد بعض المؤسسات الوقفية أن وجود الحماس، أو التميز في جانب من الجوانب، أو المرتبة الوظيفية أو الشهادة الدراسية كافية لكي يكلف بأعباء وأعمال لا تتناسب وقدراته مثلًا، أو خصائصه النفسية، فتكون النتيجة تدني في الإنتاج وعزوف عن العمل التطوعي.
- إهمال التعزيز المعنوي لمن ينخرط في الأعمال التطوعية فطبيعة النفس البشرية تحتاج إلى تعزيز، فالنفس تكل وتمل، حتى وإن كان دافعهم في ذلك الأجر، فلا بد من خطابات شكر، أو هدية رمزية، أو ثناء له أمام الآخرين ليعزز الاستمرار في التطوع.
- عدم إبراز التجارب التطوعية المميزة في العديد من المؤسسات الوقفية، لكي تكون بمثابة القدوات العملية التي تحفز الشباب على الانخراط في العمل التطوعي.

ج- عوامل تعود إلى المجتمع، ومن ذلك:

- تدني مستوى المعيشة في المجتمع، وبالتالي فإن أفراده سيسعون إلى كسب الرزق ولن يتوافر لديهم وقت كاف لكي يبذلوه للأعمال التطوعية.
- عدم إعطاء المجتمع التقدير الكافي لما يبذله المتطوع من جهد بسبب قصور معرفي عن دور المتطوعين في المجتمع، وبالتالي يفقد المتطوع حماسه لمزيد من هذه الجهود ويشعر أنها غير مهمة من وجهة نظر المجتمع.
- هناك مسؤولية تقع على قيادات المجتمع سواء مهنية أو شعبية، في التقصي في اكتشاف القيادات التطوعية واستشارتها للمشاركة وتدريبها، وبخاصة إذا وصلت العلاقات إلى نوع من الصراع والتنافس، مما يؤدي إلى عدم الثقة بين الأطراف المختلفة[١].
- يسهم المجتمع أحيانا بشكل غير مباشر في بناء صورة ذهنية عن المؤسسة الوقفية، وتعرف الصورة الذهنية أنها الأفكار والمعتقدات والمشاعر التي تتكون في عقول الجماهير ووجدانها تجاه قضية أو منظمة أو فكرة أو شخص، وهي تتبادر إلى الأذهان عند ذكر اسمها لتعطي فكرة معينة أو مفهومًا عامًا عنها قد يكون طيبًا أو سيئًا، والخطورة هنا عندما يتداول المجتمع صورة ذهنية غير جيدة عن المؤسسات الوقفية مما يؤدي إلى عزوف المتطوعين عنها.

---

(١) إدارة العمل التطوعي واستفادة المنظمات الخيرية التطوعية، أيمن بن إسماعيل يعقوب وعبدالله بن حضيض السلمي، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ، ص ١٢٢.